الأهرام

المصدر : الشرق الاوسط

التاريخ : ١٤ يونية ٢٠٠٠

سوريا بعد حافظ الأسد

تدهور الحياة السياسية في داخل اسرائيل، بعد انتصار حزب الله عليها في الجنوب اللبناني، الى الدرجة التي يقوم معها احتمال التغيير في القيادة الحاكمة بتل ابيب، يقابله في سوريا قضاء الله بوفاة الرئيس حافظ الاسد الذي يفرض غيابه تغيير حتمي في القيادة الحاكمة بدمشق.

التغيير الحتمي في دمشق، واحتمال التغيير في تل ابيب دفع اليمين المتطرف الاسرائيلي بشقيه السياسي والديني الى الاعتقاد بموت المفاوضات السلمية على المسار السوري، وعلى الاقل دخولها في غيبوبة لسنوات طويلة قبل ان تفوق منها، ويترتب على هذه الغيبوبة تبديل في الظروف الاقليمية التي يمكن توجيهها من الآن لتصب نتائجها في خدمة المصلحة الاسرائيلية.

لم يكن موت الرئيس حافظ الاسد مفاجأة لاسرائيل وانما كان امرا متوقعا عندها بسبب مرضه العضال الطويل، وبنت عليه استراتيجية تفاوضية ترمي الى عدم الوصول الى اتفاق سلمي مع دمشق، يعيد لسوريا مرتفعات الجولان، ويعطي لاسرائيل السلام معها، من خلال قناعتها بأن في وسع تل ابيب ابرام معاهدة سلام افضل مع خلفاء حافظ الاسد بعد غيابه بالموت.

يؤكد ما نذهب اليه عن رغبة اسرائيل في الحصول من المفاوضات السلمية على ما تريد بعد رحيل حافظ الاسد ما قاله شيمون بيريز رئيس الوزارة الاسبق والمرشح الحالي لرئاسة اسرائيل: «في امكان اسرائيل اليوم بعد موت حافظ الاسد ان تحقق كل ما تريده في مرتفعات الجولان من خلال المفاوضات مع العهد الجديد في سوريا».

اخذ اريل شارون رئيس حزب تجمع الليكود وزعيم المعارضة في البرلمان «الكنيست» الكلام «من فم» شيمون بيريز ووظفه في خدمة مصلحته الشخصية مستغلا التدهور القائم في الحياة السياسية في بلده ليدفع بحزبه الى الصدارة مرة اخرى بقوله: ان طبيعة المرحلة الحالية في الاقليم التي فرضت بغياب حافظ الاسد عن السلطة في دمشق تتطلب بالحاح قيام حكومة اسرائيلية قوية تؤول اليها السلطة، لتكون قادرة على التعامل باتقان ومهارة مع معطيات الظروف الجديدة في الاقليم لتفرض ارادتها على مرتفعات الجولان وتحديد هويتها وفقا للخطة الاستراتيجية التي وضعتها لها تل ابيب منذ دخول هذه المرتفعات تحت السيادة الاسرائيلية سنة 1967.

المخطط الاستراتيجي الاسرائيلي المتعلق بمرتفعات الجولان، الذي يتحدث عنه اريل شارون، يرمي الى اقامة دولة درزية فوق الاراضي السورية المحتلة، وبدأت اسرائيل في محاولة تنفيذه منذ سنة 1968 واستقطبت لهذا المخطط العديد من زعماء الدروز كان من ابرزهم كمال كنج ابو صالح الذي قلدته بوظيفة قيادية في المخابرات الاسرائيلية «الموساد»، غير انه فضح المخطط الاسرائيلي الاستراتيجي بارسال كامل تفاصيله للرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، وأدت ردود الفعل العربية المنفردة او المجتمعة تحت مظلة الجامعة العربية وما فرضته من حوار ساخن داخل الامم المتحدة الى اغتيال المشروع الاسرائيلي باقامة الدولة الدرزية.

بعد اغتيال فكرة اقامة الدولة الدرزية فوق مرتفعات الجولان، لجأت اسرائيل الى حملة الجنسية الاسرائيلية الجبرية في داخل الاراضي السورية المحتلة التي قوبلت بثورة شعبية تعرف تاريخيا بثورة الدروز، الذين كانوا يعارضون الجنسية الاجبارية الاسرائيلية اما لتخلي اسرائيل عن تحقيق حلمهم في اقامة الدولة التي تشكل الوطن الخاص بهم، واما بعامل الخوف على اهلهم في داخل الوطن العربي اذا قبلوا بالدولة الدرزية او استبدلوها بصورة مؤقتة بالجنسية الاسرائيلية.

لم تمت فكرة الدولة الدرزية عند اسرائيل بالاغتيال العربي لها، وانما ظلت تعيش في الضمير السياسي الاسرائيلي طوال السنوات الماضية، وجاء اخراجها من قبرها على يد البروفيسور الدكتور موشيه ماعوز رئيس معهد ترومان للسلام التابع للجامعة العبرية في القدس عن طريق اصداره لكتاب يحمل عنوان «الجولان بين الحرب والسلام» يحتوي على فكر صهيوني يدعم بقوة تحويل كل مرتفعات الجولان الى دولة درزية مستقلة تفصل اسرائيل عن سوريا، ويؤدي دعم تل ابيب لها الى وقوفها مع اسرائيل ضد جيرانها العرب وبالتالي تصبح حاجزا امنيا يحمي الوطن اليهودي من العدوان العربي عليه في مرحلة السلام المرتقبة.

لم يصدر كتاب «الجولان بين الحرب والسلام» في هذه الايام بمحض الصدفة، وانما جاء ليؤكد امكانية تنفيذ المخطط الاستراتيجي الاسرائيلي في شبعا ومزارعها بعد فصلها من الجنوب اللبناني ومحاولة ربطها بمرتفعات الجولان لتقوم عليها الدولة الدرزية لتمتد بالتوسع نحو كل اراضي ومرتفعات الجولان فيسقط حق سوريا فيها ويتم الحوار السلمي بين دمشق وتل ابيب بعيدا عن اراضيها المحتلة بعد ان اصبحت تلك الاراضي اقليما للدولة الدرزية الجديدة.

تدرك سوريا هذا المخطط الاستراتيجي الاسرائيلي فأخذت تصر على ان شبعا ومزارعها هي ارض لبنانية لا بد ان تخرج منها اسرائيل باعتبارها جزءا من الجنوب اللبناني وترد اسرائيل على سوريا بأن شبعا ومزارعها امتداد اقليمي طبيعي لمرتفعات الجولان ولا توجد بها مستوطنات يهودية وسكانها الدروز تربطهم صلات اسرية بالدروز في مرتفعات الجولان، وجلاء الجنود الاسرائيليين منها مرتبط بالخروج من الاراضي السورية عن طريق المباحثات السلمية بين تل ابيب ودمشق.

تراهن اسرائيل في توجهاتها السياسية الحالية على تجميد المباحثات على المسار السوري، لتتمكن من تحقيق امرين في غاية الخطورة اولهما احداث التغييرات في مرتفعات الجولان بتحويلها من اراض سورية محتلة الى ارض للدولة الدرزية الجديدة، وثانيهما التفاوض مع سوريا في مرحلة لاحقة تزيد الفترة الزمنية لوقف المفاوضات من ضعفها السياسي بعد غياب حافظ الاسد من على المسرح السياسي في دمشق ووجود قيادات سورية اكثر مرونة منه في التفاوض.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

واضح ان اسرائيل ستواصل سياستها السابقة في المراوغة التي انتهجتها على المسار السوري عن طريق تبديل الاهداف وتغيير المواقع ورفع الشعارات لاكتساب مزيد من الوقت وتوظيفه في خدمة مصالحها، فالمفاوضات السورية ـ الاسرائيلية في واشنطن التي قام بها وليد المعلم سفير سوريا لدى أمريكا او التي قام بها فاروق الشرع وزير الخارجية السوري كانت قاب قوسين او ادنى من الاتفاق السلمي بين دمشق وتل ابيب، غير ان رغبة اسرائيل في تحويل مرتفعات الجولان من اراض سورية محتلة الى مجال اقليمي للدولة الدرزية جعلتها تسوف وتضع العوائق والعراقيل التي سدت الطريق الى السلام مع سوريا.

مهما كنا نتفق او نختلف مع الرئيس حافظ الاسد فإننا نعترف بأنه وضع منهجية سلمية تحكم التفاوض مع اسرائيل يصعب على خلفائه في السلطة الخروج عليها او التناقض معها حتى وان كانوا اكثر مرونة او تشددا منه مما يجعل من السياسة السلمية السورية مع اسرائيل، الموروثة عن حافظ الاسد سياجا يمنع تلاعب اسرائيل ويغلق ابواب المساومة على الارض المحتلة عن طريق ربط السلام مع اسرائيل بالعودة الى حدود 4 يونيو (حزيران) سنة 1967.

سيسهل تنفيذ هذه المنهجية السلمية التي وضعها حافظ الاسد خليفته بشار الأسد بعد ان دللت كل المؤشرات وفي مقدمتها التعديل الدستوري داخل البرلمان على مجيئه الى السلطة في سوريا، واللقاء الصحافي الذي اجراه معه الاستاذ عبد الرحمن الراشد رئيس تحرير جريدة «الشرق الأوسط»، والذي جاء بالصدفة المحضة قبل رحيل والده حافظ الاسد بأيام معدودة، يقدم برنامج بشار الاسد في الحكم ويحدد التزامه بالمنهجية السلمية السورية في التفاوض مع اسرائيل.

نحن لا نبحث في منهج الحكم الداخلي السوري لانه امر يخص الشعب السوري وحده، وانما الذي يهمنا هو السلام في الشرق الاوسط. وقد حدد بشار الاسد طريق الوصول اليه بالنتائج المترتبة على المفاوضات، موضحا ان سوريا لن تقبل المساومة على شبر واحد من اراضيها، ومؤكدا بأن حزب الله لن يرمي السلاح مقابل الانسحاب الاسرائيلي من جنوب لبنان، وان وجود السلاح في مخيمات اللاجئين يمثل قنبلة موقوتة. المواقف الثلاثة التي حددها بشار الاسد: عدم القبول بالمساومة على الارض السورية المحتلة، وعدم رمي حزب الله لسلاحه، والقنبلة الموقوتة بالسلاح في مخيمات اللاجئين، لم تأت عفويا وانما هي رسالة سياسية من دمشق للعالم تدلل على الموقف السوري الصلب بوجود او غياب حافظ الاسد، وتعطي خيارين لاسرائيل: إما السلام من خلال المفاوضات، وإما النضال المسلح الذي يحرر الارض المحتلة، وصيغ الباب في وجه الدولة الدرزية للمرة الثانية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية